تأثير الجبرية على الإباحية ونقده القرآني

محمد جواد فخرآبادي (الكاتب المسؤول)
عضو هيئة التدريس قسم الإلهيات، جامعة يزد، إيران
fakhrabadi@yazd.ac.ir
الدكتور مرتضى نصراللهي
أستاذ مساعد في قسم الإلهيات، جامعه يزد، إيران
m.nasr@yazd.ac.ir

The effect of Determinism on Antinomianism and its Quranic criticism

Mohammad Javad Fakhrabadi (Corresponding Author)
Faculty member of Yazd University , Faculty of Theology , Iran
Dr. Mortaza Nasrollahi
Faculty member of Yazd University , Faculty of Theology , Iran

الملخص:

الإباحية هي احدي مشاكل الإنسان طوال الزمان و على مر التاريخ و البحث فيه بحث عام و بين الفروعات و التخصصات المختلفة. وللإباحية أدلة مختلفة نظريه أو في الاتجاه و النزعة أو في العمل وكذلك ادلته المعرفية والنظرية تكون متعددة و هذه المكتوبة تكون بصدد التحقيق في احد ادلته النظرية التي من اهم ادلته وهو الجبرية.

الجبر هو احد النظريات المخربة لحياه الإنسان الاجتماعية و الفردية و هو من اهم عوامل ترويج الإباحية و تشجيعها.

وفي هذا التحقيق الذي بايدينا يكون الاعتقاد بالجبر والجبرية كاهم أدلة الإباحية وانفذها ويكون موردا للدراسة والنقد بطريق التحليل والتوصيف. فتدرس في الابتداء مفهوم الجبر والإباحة لغة واصطلاحا ثم اشار إلى أدلة التمايل إلى الجبر و دواعيه التي تشتمل على ادلته العلمية و السياسية والروحية فعلى اساس هذه الأدلة تنتج ان الإباحية من آثار الاعتقاد بالجبر طبعا. سوف يفحص عن آثار الجبر على الإباحية بين اليهوديين و المسيحيين والمسلمين على طبق تاريخ الاديان وآيات القران. وفي النهاية تبين أدلة المشهور للجبريين و فهمهم من آيات القرآن و تفسيرهم الآيات على الجبر ونقدها و هكذا ينفي جذور الإباحية وأسسه.

الكلمات المفتاحية: الإباحية، عوامل الإباحية، الجبرية، النقد القرآني.

Abstract:-

Antinomianism has been one of the human problems throughout history; and discussing about it is considered as an interdisciplinary widespread discussion and a general one.

Different perspective, tendentious and behavioral factors cause antinomianism; Among them, perspective factors and reasons regarding cognitive belief are in return numerous factors. In the present study, determinism is discussed as the most effective factor of antinomianism.

Determinism is one of destructive thoughts in individual and social life of humans and also this is one of the most important factors of Promoting antinomianism.

In the present study, one of the most important and deep-rooted causes of antinomianism, which is expressed in the form of deterministic thoughts and ideas, has been reviewed by descriptive-analytical method; For this purpose, first the literal and terminological meaning of antinomianism and compulsion is examined; Then the factors of tendency to compulsion including scientific, political and psychological reasons are mentioned; according to these factors, it has concluded that antinomianism is naturally one of the result of determinism. In the following, this belief existed among polytheists, Jews, Christians and Muslims has been mentioned and criticized based on the verses of Qur'an and the history of religions.

Ultimately, in order to destroy bases of antinomianism that includes belief in compulsion, famous arguments of determinism caused by their interpretation of the verses of the Qur'an have been mentioned and criticized.

Key words: Antinomianism , determinism , factors of antinomianism, Quranic criticism.

ا) مفهوم الإباحة و الإباحية لغة و اصطلاحا

معنى الإباحة لغة:

الإباحة في اللغة من باب الافعال و اصله ((بَوح)) في الثلاثي المجرد بمعنى ظهور الشيء و في باب الافعال بمعنى تحليل شيء لشخص، الإباحة جاء بمعنى السرقة و الغارة لان السارقين و المفسدين كانوا يباحون و يحللون لانفسهم اموال الناس و انفسهم. (الفراهيدي، ١٤١٠: ٣/٣١١- جوهري، ١٤١٠: ٣٥٦-١/٣٥٥).

معنى الإباحة اصطلاحا:

يستعمل لفظ الإباحة في الفقه ايضا و له معاني متعدد في الفقه، و يتحصل بالرجوع إلى المنابع الفقهية انه يوجد المناسبة بين معناه اللغوي و الفقهي و كلاهما يرى المكلف في السعه و الحرية و يختلف المعاني في نوع السعه و الحرية من السعه الشرعي أو العقلي أو التكليفي أو الوضعي و... (العاملي، ١٤١٠: ٣/٢٢ و نراقي، ١٤١٧: ٣٧٠ و صدر، ١٤٠٦: ١/٦٩).

يعرّف كتب اللغة الإنسان الاباحي بانه ملحد يباح كل الاشياء ولا اعمال و جماعه الاباحيون لا يرون عملا محرما و شنيئا و يرونها مباحا (دهخدا، ١٣٧٧: ٢/٢٤٤) و الإباحية يظهر في العمل و يطلق الإباحية على كل من لا يرى الزاما شرعيا في العمل سواءً كان معتقدا بالزامات الشرعية ام لم يعتقد. الإباحية نوع من النفسانيات أو نوع من التفكر الذي يعطي الإنسان نفسه الحق بمقتضاه ان لا يعتني بحدود الشرعي و ضوابطه و يوطئ حدود الحلال و الحرام. (معارف، ١٣٨٦: ١٥/١٠) و الإباحية يكون معناه مئآلا انه لا يكون هناك اي محظور في ترك الواجبات و في عمل المحرمات

فللإباحية عنصرين عنصر ذهني و عنصر عيني، عنصره الذهني مجازيه العمل و عنصره العيني نفس العمل والمهم في الإباحية هو عنصره الذهني الذي يرى الإنسان نفسه ذي حق في فعل المحرمات و ترك الواجبات وبعبارة أخرى أساس الإباحية عنصره الذهني والفكري والنظري وثمرته عنصره العيني والعملي.

ويظهر من هذا التحقيق ان عنصر الذهني للإباحية هو الجبر و الاعتقاد به.

ب) معنى الجبر لغة و اصطلاحا:

معنى الجبر لغة:

الجبر هو اجبار الشخص بفعل شيء لا يحبه و لا يريده، ((الجَبْر، الاسم، و هو أن تَجْبُر إنسانا على ما لا يريد و تُكْرِهه جَبَرِيَّةً على كذا.)) (فراهيدى، ١٤١٠هـ ق، ج٦، ص١١) و ورد ايضا ((اصل الجَبْر: إصلاح الشيء بضرب من القهر)) (الراغب الإصفهاني، ١٤١٢ ه ق، ص١٨٣) و ((الجَبْرُ خِلافُ الكَسْرِ، و المادَّة موضُوعةٌ لإِصلاح الشيْءِ بضَرْب من القَهْر.)) (حسيني واسطى، ١٤١٤ ه ق، ج٦، ص١٥٨) فاذا اراد ان يلائم بين المعنيين يقال ان الجبر اجبار الشخص بالقهر والغلبة على فعل شيء لا يريده بقصد الاصلاح.

معنى الجبر اصطلاحا:

هذا اللفظ مخالف لفظ القدر في الكلام الاسلامي وفي الحقيقة الجبر هو ايجاد الافعال في الخلائق من دون اي قدره لهم على دفع ذلك الفعل.(ابن نعمان (الشيخ المفيد)، ١٣٦٣هـ.ق، ص٨٥)

يعرفه الشهرستاني الجبر بانه ((اَلجَبرُ هُوَ نَفي الفِعلِ حَقيقَةً عَنِ الْعَبدِ وَاِضافَتهُ إلى الرّبِّ؛)) (الشهرستاني، ١٣٥٩ هـ.ق، ج١، ص٨٥)

يأتي بعض اللغويين بمعنى اصطلاحيا بمناسبه المعنى اللغوي فيكتب الفيومي ((الْجَبْرُ وزَانُ فَلْسٍ خِلَافُ القَدَرِ وهُوَ الْقَوْلُ بِأَنَّ اللّهَ يَجْبُرُ عِبَادَهُ عَلَى فِعْلِ المَعَاصِي وهُوَ فَاسِدٌ وتُعْرَفُ أَدِلَّتُهُ مِنْ عِلْمِ الكَلامِ؛ (فيّومى، ١٤١٤هـ.ق، ج٢، ص٨٩).

والطريحي بعد ان ياتي بعين عباره المذكور من الفيومي في تعريف الجبر ياتي بكلام من على بن ابراهيم في تبيين عقائد الجبريون فيقول " المجبرة الذين قالوا ليس لنا صنع و نحن مجبرون يحدث الله لنا الفعل عند الفعل، و إنما الأفعال منسوبة إلى الناس على المجاز لا على الحقيقة" (الطريحى، ١٣٦٢ هـ.ش، ج٣، ص٢٤٠-٢٤١)

فحص عوامل الجبر ودواعيه:

يوثر النظرية الجبر على حياه البشر الانفراديه والاجتماعية اثرا سوءا، من اهم هذه الآثار رواج النظرية الإباحية.

لتبيين آثار نظريه الجبر ينبغي التحقيق حول عوامل التمايل إلى الجبر ثم يتضح ما هي آثار الجبر على حسب هذه العوامل و الاسباب.

المقصود من العوامل هو الاعم من العله التامه والناقصه فاذا نبحث عن عقايد الافراد و الفرق الإباحية يتضح دور هذه العوامل في خلقياتهم و بعباره أخرى يمكن الوصول من المعلول اي الاعمال إلى العله اي العقائد.

هناك عوامل ثلاثة يتكون العقيدة الجبرية و هي عامل علمي و عامل سياسي و عامل نفسي وسنوضح كل واحد منها على حده:

١. العامل العلمي:

ينسب الهداية والضلالة و اعطاء العزة والذلة واعطاء الملك و عدم اعطائه إلى الله مستقيما في بعض الآيات و تدل آيات اخر على عدم الاختيار للإنسان مثل آيات الرزق والمصيبة والاجل المسمى وغيرها ثم الاهم من ما ذكر الآيات الدالة على القضاء و القدر الالهي ولأجل عدم القدرة على تفسير مثل هذه الآيات مال بعض المتكلمين من المسلمين اي الاشاعرة إلى نظريه الجبر.

٢. العامل السياسي:

هذا العامل من العوامل المهمه للتمايل إلى الجبرلان النظامات الجابرة والظالمة يحمل على الناس مطالباتهم الغير المشروعه بسبب رواج النظرية الجبرية و و يسدوا عن قيام الناس عليهم و من هذه الحكومات حكومة بني اميه حتى صارت هذه الكلمة من الكلمات المشهورة وهي ((الجبر و التشبيه امويان و العدل و التوحيد علويان)).و على رغم الحماية عن المعتزلة في بداية الامر في حكومة بني العباس لكنه عند حضور المتوكل و بسبب نفي المعتزلة و حاكميه اهل الحديث انتهت الغائلة في انتصار الجبريون.

٣. العامل النفسي:

لما كان الإنسان هو الموجود الهاربة عن التكليف وامر الشارع ونهيه يوجه اعماله السيئة لذا يستمدد من المكاتب التي يعينه في هذا الطريق ويميل اليها ومن هذه المكاتب مكتبه الجبرية.

فعلى هذه العوامل الثلاثة المذكورة مال تمام الطبقات الاجتماعية من العوام و العلماء و الحكماء إلى نظريه الجبر وكانوا يحامون كلهم هذه النظرية ولو كان داعي كل منها يختلف عن الآخر لان الناس بسبب الرفاه والحكام بسبب طلب السلطة والعلماء بسبب جهل المركب و كلها بسبب هذه الدواعي يدعم و يدافع عن نظريه الجبر.

فالنتيجة واضحه وهي ان الإنسان لا يوثر في شيء من الاعمال والفاعل الحقيقي هو الله فالإنسان بسبب روح الراحة واللذة يتمايل إلى ترك التكاليف وعمل المحرمات وهذا هو معنى الإباحية.

تبين الشهيد المطهري في كتاب " إنسان و سرنوشت " الآثار الفردية والاجتماعية للجبريه فقال في آثار الاجتماعية للجبريه " لمسلك الجبرية الذي ليس للبشر فيه اي اختيار ولا اي حريه كما قال به الاشاعرة آثار اجتماعيه سيئه كثيره فيفلج روح البشر كميكروب الافليجيه، فهذه العقيدة هي التي بسط يد تطاول الظالمين و ضيق يد تظلم المظلومين. (مطهري، ١٣٧٢هـ.ش، ص١٩)"

ثم وضح الآثار الفردية لمسلك الجبرية فقال "المعتقد بالجبر بما انه لا يرى اي ارتباط و اثر بين الاسباب و المسببات على الخصوص بين الإنسان و افعاله و اعماله و هويته المعنوية وخلقياته وبين مئال حياته وسعادته الآتية أو شقاوته فلا يكون ابدا بصدد تقويه هويته والتحفظ والتحكم على اعماله وافعاله واصلاح اخلاقه بل احال الامور كلها إلى يد التقدير.(مطهري، ١٣٧٢هـ.ش، ص٢٠) ".

إذن الإباحية من لوازم القطعية لمسلك الجبرية لذا هناك تعاليم و مفاهيم مثل الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و القيام على حاكم الجور متروكه ومطروده بين الجبريون وهذا هو معنى الإباحية في بعض احكام التكليفية والشرعية للشريعة.

فعلى ما ذكرناه من القاعدة الكلية نفحص عن تأثير عامل الجبر على إباحية الفرق والاديان

تأثير عامل الجبر على إباحية الفرق و الاديان:

ولو كان البحث في مساله الجبر و الاختيار له سابقه بقدم كل التاريخ لكن يعتقد بعض

المحققين بانه قد حدث هذا البحث بين فلاسفة الهند و حكمائه ثم بحث عنها علماء المصر حتى ناقشوا و باحثوا فيه حكماء يونان خمسمئه سنه قبل الميلاد. قد مال سقراط (٤٦٩-٣٩٩ق.م.) و تلميذه افلاطون (٤٢٧-٤٣٧ ق.م.) إلى الجبر و نفي كل الاختيار عن الإنسان في افعاله و اعماله (الخميني (امام)، ١٣٩١هـ ش، ص٦). و قد صار يبحث عن مساله الاراده و الاختيار و الجبر و حاول كثيرا في تبيين معيار اعمال الارادي عن غيره بعدهما الارسطو في كتاب " اخلاق نيكو" مستقلا فبعده صار محلا للنظر و البحث و التامل الجدي بين الفلاسفه.

يظهر من بعض المنابع التاريخيه و الآيات القرآنيه انه كان نوع من التفكر الجبري بين مشركين جزيره العرب رائجا.

الف) كانت النظرية الجبرية بين الامم الماضية والمشركين في زمان نزول القرآن.

كانت النظرية الجبرية بين الامم الماضية والمشركين في زمان نزول القرآن ثابتا وراسخاً فجاء في القرآن الشريف في ضمن تبيين النظرية الجبرية: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام٦/ ١٤٨) فتبين في هذه الكريمة بان المشركين يعتقدون بانه لو اراد الله ما كانوا يشركوا هؤلاء ولا آبائهم والله هو الذي اجبرهم على قبول الشرك.

فهذه الآية من اخبار الغيب التي ورد فيها أدلة المشركين لاطاعه الاصنام و عدم حرمه اكل الاصنام لحوم الاضحيه واستحلالهم مبتن على نظريه الجبر و هو انه لو اراد الله ما كنا مشركين و لا آباءنا و اطاعنا للاصنام و سائر افعالنا بمشيه الله و ارادته. (السبزواري، ١٤٠٦هـ.ق، ج٣، ص١٠٥).

فالآية صريحه على ان المشركين استدلوا على عبادتهم للاصنام و تحريمهم محللات الله بكونهم مجبورين و لا اراده و لا اختيار لهم اي انهم استندوا شركهم و تحريمهم محللات الله إلى الله و لا إلى انفسهم و هذا هو معنى تمايلهم إلى الإباحية. فالقران اضافه إلى بيان راي جبريه المشركين الذي كانوا كالامم قبلهم ينتقد هذه النظرية و يقول انه ما كان و لا يكون اي

جبر في قبول هذه العقائد الباطله والانبياء كانوا مبلغين للدين فقط ولم يكن يكرهون الناس على قبوله.

من اهم الحماه لهذه النظرية بعد المشركين و امم قبلهم الموافقين لهم في الرأي والنظر الجبابره والمستكبرين الذين يرى انفسهم من الطبقات العليا وصاحب القدرة والثروة، فانهم لما كانوا يحاولوا ان يظاهروا بان اولويتهم امر عادي ارادوا ان يوجهوا ظلمهم و قهرهم و نفوذهم كانوا يبلغوا و يؤيدوا النظرية الجبرية.

فعلى هذا الاساس لأجل توجيه افعالهم و اعمالهم كانوا يستندونها إلى اراده الله وطلبه (مكارم شيرازي، ١٣٧٤هـ.ش، ج١٠، ص٣٢٤) ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾. (ابراهيم١٤/٢١)

لكن بعض المفسرين فسروا هذه الآية بسبب سياقه بانه يقصد النجاه من العذاب الأخروي ولا يرتبط بعقايد الصحيحة الدينية الدنيوية (الطباطبائي، ١٣٧٤هـ.ش، ج١٢، ص٦١؛ الطبرسي، ١٣٧٢هـ.ش، ج٦، ص٤٧٦).

وفي آية أخرى اشار الله ان الانبياء اذا طالبوا الانفاق والمساعدة إلى الفقراء و المساكين فرأي المشركين بانهم اذا ساعدوا الفقراء مشوا على خلاف اراده الله و مشيته فيمكن ان يكونوا من مغضوبيه فلا يساعدوهم.

فالله يناقش هذا النظرية و يجلب النظر إلى ان الله يعمل الامور على طبق اسبابهم في الدنيا و جعل الله في اموال الناس حق للسائل و المحروم يعني ان الله يساعد الناس بطرق متعددة حتى يكون اختبارا و ابتلاءا للاغنياء وكذلك للمساكين. فهو مع بيان وجود حق للسائل و المحروم في اموال الاغنياء هو في الحقيقة بصدد بيان انه يجب ان يعطي حقوق هذه الطبقات من الناس لذا اذا حاكم الفقر في جامعه و كان بعض الناس يستمدون الآخرين فيجب ان يسأل الناس في زمانهم بانه "لم لا تعطون حقوق الفقراء" ؟

ب: تأثير النظرية الجبرية على إباحية اليهود

من عقايد اليهود الفاسده الذي كان سببا مهمّاً لعدم ايمانهم برسول الله محمد ﷺ اعتقادهم بالجبر و تبين القرآن هذا الاعتقاد بلسانهم فقال ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ

اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء٤/١٥٥).

فاشار هذه الآية إلى تفكر الجبرية لليهود فقال بلسانهم ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

يظهر من كثير من روايات اهل البيت عليهم السلام ان هذه الآية يشير إلى اعتقاد اليهود في مساله القضاء والقدر والمصير والتفويض وانهم يعتقدون بان الله خلق جميع الاشياء وكانت معينا ومحددا في ابتداء الخلقة وكل ما يمكن ان يقع وقع ولا يمكنه هو ان يغيره اي تغيير و تحول. (عروسي حويزي،١٤١٥هـ.ق،ج١، ص٦٤٩؛ بحراني، ١٤١٦هـ ق، ج١، ص٤٨٦).

اذن اعتقادهم بالجبر كان سببا لكفرهم بالنسبة إلى الله حتى كانوا يرون ان الله ليس بقادر على تغيير المقدرات و هذا هو معنا جبر المطلق.

فكتب احد من المفسرين ذيل هذه الآية الشريفة " اذا خربت و عابثت حياه اليهود و سقط نجم اقبالهم و اهبطوا من ذروه الكرامة إلى حضيض الذلة واذلال مخفض اعتقدوا ان هذا هو مصير قهري و لا يمكن التغيير فيه لان كل هذه المصائر والاقدار تعينت في بداية الخلق و غلت ايدي الله في العمل ")).(مكارم شيرازي، ١٣٧٤ هـ.ش، ج٤، ص٤٤٩)

ذكر العلامة طباطبائي في اغلال ايدي الله ثلاثة اوجه و لم يقبل ايا منها، فالوجه الثالث هو قول المفسرين الذي ذكرناه و رفضه العلامة نظرا إلى سياق الآية الشريفة ثم ذكر وجها رابعا يلائم سياق الآية و هو ان اليهود في هذه الآية كانوا بصدد استهزاء المسلمين بانه كيف يستقرض الله العباد و يستمددهم و هو مالك العالم و مالك تمام الذخائر الابديه والباقيه لكنه لم يستبعد في النهاية بأن الاعتقاد باغلال ايدي الله و عجزه من عقائد اليهود.

على اي حال الايمان باكراه الله و عجزه في تدبير امور العالم من عقايد اليهود الباطله و السيئه سواء اشار اليه هذه الآية الشريفة ام لم يشر اليه على راي العلامة الطباطبائي، ففي التالي الآية ينتقد هذه النظرية و يلومه باللعنة وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُو"، ثم لابطال هذه العقيدة الباطله يقول: " بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ"

تأثير عقيده الجبر على إباحية المسيحيين و فجورهم:

بحث الجبر و الاختيار من مباحث الخلافي بين علماء المسيحيه و كبارهم فهو من مباحث الخلافي بين آگوستين و پلاگيوس. آگوستين كان يتمايل إلى الجبر و كان يعتقد بان البشر مال إلى السيئات بسبب ذنوبهم بخلاف پلاگيوس الذي هو يعتقد بوجود عنصر الاختيار في الإنسان و يعتقد ان دخل مباشر الله على مقررات البشر يساوي الخدشه في شرافه الناس (مك گراث، ١٣٩٢هـ. ش،ج٢، ص ٦٧٩-٦٨١) و في النهايه رفض آراء پلاگيوس و ايد آراء آگوستين في لجنه انعقدت في سنه ٤٧٠ ميلادي في مدينه في جنوب فرانسا و هو آرل (مك گراث، ١٣٩٢هـ. ش، ج٢،ص٦٨٧).

ان پولس ومارتين لوتر اثنين من كبار المسيحيه واسسهم الذين مالا إلى نظريه الجبر وروّجاه.

يوجد كلمه فيما بين كلمات پولس التي تحكي عن عقيدته بالجبر وهي في رساله خطبه روميان و قال: "ماذا نقول هل يوجد ظلم و غير انصاف عند الله ؟ لا بل هو يقول لموسي ارحم من ارحمه و اراف من ارافه، فهو و لابد منه لا من قبل السائل و لا من قبل المسرع بل من قبل الراحم من يمكنه ان يقابل ارادته ؟".(محمدرضا زيبايي نژاد، ١٣٨٢هـ.ش، ص١٠٤).

لوتر كان يعتقد ايضا بان الله انتخب بعض الناس للسعادة ووضع الآخرين في اللعنة الابدية وهو يقول " عندما ايقننا بان الله يفعل ما يشاء و يريد فلا حاجه إلى العمل الصالح ويكفينا الايمان بالله. "(وحيدي مهرجردي، ١٣٨٩هـ.ش،ص١٠٤)

يظهر جيدا من مقاله لوتر بانه لا حاجه إلى العمل الصالح ولا اهميه لفعل الواجبات وترك المحرمات لانه لا اراده للإنسان ويتحقق ما يريد الله وهذا ليس الا الاعتقاد بالجبر والإباحية.

ث) اثر الاعتقاد بالجبر على الإباحية بين المسلمين

كان الاعتقاد بالجبر بين بعض المسلمين الذين ليس لهم عقيده صحيحه وعميقه موجودا في صدر الاسلام.

إن الواقدي يقول في كتابه يسمي بالمغازي " ان عمر بن خطاب كان يفر من معركه

الحرب في معركه الحنين فقلت له ما هذه الحركة فقال بتقدير الله "(سبحاني، ١٣٩٠هـ.ش، ج١، ص٢٤٨).

إن المطهري يعتقد بان لم يكن عقيده بالجبر بين المسلمين في زمان رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام موجودا بسبب تعاليمهما و لكنه عند اراد المتكلمين ان يحلل القضاء والقدر فيما بعد فلا يستطيعون ان ينفكوا بين الاعتقاد بالجبر والاعتقاد بالقضاء والقدر فسقطوا في هاويه الجبر.. (مطهري، ١٣٧٢هـ.ش، ص٦٤-٦٥)

والذي يخطر بالبال في وجه الجمع بين النظريتين المذكورتين هو انه كان الاعتقاد بالجبر موجوده بين المسلمين في صدر الاسلام بسبب وجود روح الجاهلي بالرغم من محاولات كثيره من قبل رسول الله ﷺ ولكن كان هذا العتقاد مبطونا و مستورا و نافذا في باطن افكار المسلمين و لم يكن ظاهرا في ذلك الزمان بل يظهر فيما بعد و من جهه أخرى ان حكومة الاموي كانت تروّج مساله القضاء و القدر حتى يقنع الناس في مقابل اي عدم مساواه.

فقال أبو هلال العسگري "ان المعاويه اول من قال بان يفعل الإنسان اعماله باراده الله " (سبحاني، ١٣٩٠ هـ.ش، ج١، ص٢٤٩)

النحله الفكرية الجبري التي كانت من اشهر النحل بعد القرن الثاني الهجري كانت تنبعث من الاتجاهات الفكرية الجاهلية و افكار المشركين الذين قال الله في كتابه كلامهم واجابهم. فهذه النحلة عجزت عن تفسير صحيح آيات القرآن خاصه آيات التوحيد الافعالي وآيات اراده الله العامة وعلمه العامة لانهم كانوا يخطئون في تفسيرهم من القضاء والقدر وربطه بأفعال الإنسان ولهذا كانوا يسقطون في هاويه النظرية الجبرية.

إن فرقه الحشوية والحنابلة احدي الفرق من فرق المسلمين التي تنبعث عقائدها من ظواهر القرآن ولا يعتني بالعقل أصلاً، بخلاف الأشاعرة التي لا يقبل العقل كالمنبع المستقل و لكنه يستفيد من استدلالات العقلية في اثبات نظرياتهم الكلامية وبخلاف التشيع والمعتزلة الذين يعتنون بالعقل في كلا المقامين.

انهم لا يستفيدون من قوه العقليه والعقل في الاستدلال ولا بعنوان منبع مستقل في مقابل الكتاب والسنه لاستنباط الاحكام الشرعية.

يوجد عقائد خاصه بينهم ايضا كالاعتقاد بالتجسيم والتشبيه و يرون صفاتا جسمانية لله تبارك و تعالى كالجهة والحركة ويتوهمون ان له الاعضاء كأعضاء جسم الإنسان ويعتقدون برويه الله يوم القيامة، و اخذوا هذه العقائد من ظواهر كتاب الله و الاحاديث لانهم لم يكن يعتقدوا بمدد العقل في استنباط المعارف من الكتاب و الحديث فلا يستطيعون ان يمنعوا عن هذه الانحرافات العقائدية. فأهل الحديث يعتقد ان علم الله السابق عن الافعال يظل على افعال الإنسان و باقي الحوادث و يجعله ضروري التحقق و لابد منها فلا يبقي للإنسان اي اختيار.

كان احمد بن حنبل اول من استطاع ان يدون و ينتشر عقائده الجبرية في بين اهل السنه ويصل إلى مقام الامامة في العقيدة بينهم ولو كان بعض من الصحابة كمعاوية بن ابي سفيان معتقدون بالجبر و كذلك يذكر ان جهم بن صفوان و وهب بن منيه من المقدمين و السابقين في عقيده الجبر، و كان احمد بن حنبل محدث قدير الذي كان يستطيع ان يدون مسندا يشتمل على اكثر ثلاثين آلاف حديثا و كان يقف مقابل المعتزلة، و كانت امامته في عصر المتوكل سببا لافول باقي الفرق من اهل الحديث و سببا لحمايته الكاملة من قبل خلفاء العباسيون و اقبلوا عقائده تاما و من دون نقصان (سبحاني، ١٣٩٠هـ.ش، ج١ ص٢٧٣ به بعد).

فقال احمد في تفسير القضاء و القدر " ان الله قضي و احكم حكما و قضاءً حتميا على العباد و لا تكون لاحد القدرة على مخالفه قضاء الله، و على الناس ان يذهبوا الطريق الذي يقدّر الله لهم (عبدالله بن احمد بن حنبل، ١٤١هـ ق،ص٤٤-٤٥).

ثم ذكر افعالا سيئة من الإنسان فيري كلها بتقدير الله فقال " شرب الخمر والسرقة وقتل النفس المحترمة واكل الحرام والشرك بالله وكل المعاصي بقضاء الله و تقديره ".

فهذا التفسير الخطأ للقضاء و القدر ينجر بقبول النظرية الجبر الذي يعارض روح تعاليم الانبياء و هي تكليف الإنسان و الثواب والعقاب الأخروي و... فيتصور ان دين الاسلام الذي هو مملو من المسؤولية و التكليف دينا يرغب الناس إلى عدم المسؤولية والتكليف والتظلم والفساد والإباحية.

اهم أدلة الجبريون و نقدها القرآني:

ان الجبريون يسلب التأثير من العلل المتوسطة و ينكرون العلية و التأثير لها و يرون الله علة

مباشرتا للحوادث و يعتقدون ان الله يخلق الاشياء والحوادث والافعال عند حصول شرائطها ولا اثر للأسباب والشرائط لايجادها وهذه كلها بسبب الاستناد إلى ظواهر بعض الآيات والروايات وكذلك بسبب توهم بعض الأدلة (الشهرستاني،١٤٢٥هـ ش، ص ٥٤-٩٠).

الدليل الاول و نقده:

يعتقد الجبريون بان كل افعال الإنسان مخلوق الله و لا يكون دورا للإنسان في هذه الافعال الا انه محلا لفعل الله و استدلالهم على هذه العقيدة استنباطهم الخطأ من بعض الآيات الذي صرح فيه بالتوحيد في الخالقية. سياتي الآيات ثم استدلالهم عليها ثم نقد الاستدلال (ربّاني گلپايگاني، ١٣٧٩ ه ش، ص٣٠ -٤٩).

من هذه الايات قول الله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات ٩٦/٣٧) قول الله ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ (فاطر ٣/٣٥)

فتبين ميرسيد شريف الجرجاني من كبار الاشاعره هذه العقيدة فقال: ان افعال العباد يتحقق بقدره الله فقط و لا اثر لقدره الإنسان في تحققها بل يجري سنه الله على ان يعطي الله للإنسان القدرة و الاختيار حتى يستطيع ان يستفيد من قدرته عندما شاء فعند اراده الإنسان و اختياره ذالك الفعل فالله هو الذي يفعله و يوجده فعمل الإنسان مخلوق الله و ابداعه و احداثه اي فعل كسبي للإنسان و المراد من الكسب ان الله يفعل ذلك العمل مباشرتا عند اراده الإنسان. (شريف جرجاني، ١٣٢٥هـ ق، ج٨، ص١٤٦).

نقد هذا الدليل:

ما سلكوا الجبريون سبيل الصحيح في تفسير هذه الآيات لذا لو كان تفسير هذه الآيات ملائما باختيار الإنسان ممكنا لكان هو المراد منها قطعا. فآية ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ يمكن الاستدلال به على الجبر اذا كان "ما " في " ما تعملون" يكون المصدرية فيكون المعنا هو " ان الله خلقكم و افعالكم " لكنه بقرينه آيه قبلها و هي آيه ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ يظهر ان "ما" موصولة لا مصدريه فيصير معنى الآية هكذا " خلقكم الله و ما تفعلول فيه اي الاصنام والخشب التي جعلتموها كالصنم ".

ذكر العلامة الطباطبائي احتمالين في تفسير هذه الآية الشريفة فعلى احتمال الاول يكون اراده الإنسان في طول اراده الله و لا ينافيه يعني يفعل الله و يحقق ما يريد الإنسان لذا يكون اراده الإنسان شرط خلق الله.

واحتمال الثاني هو ما قاله الجبريون يعني خلق الله الافعال بدون اراده الإنسان ولا دخل للإنسان في تحقق افعاله.

ثم لا يقبل العلامة الاحتمال الثاني لان الآية في مقام توبيخ الكفار وان كان الله يريد هذه المعنى فلماذا يلوم الكفار بل ان كان يريد هذا المعنى فيمكنه ان يأتي بعذر للعباد وحجه لهم (الطباطبائي، ١٣٧٤هـ ش، ج١٧، صص٢٢٧- ٢٢٨).

فلا يثبت الآية الشريفة مدعي الجبريون.

وأما آيات التوحيد في الخالقية يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الاول: الآيات التي ينحصر الخلقة في الله كآية: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ (الأنعام ١٠٢/٦) أو آية: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (رعد/١٣) فعلى هذه الآيات خلق الله كل ما يطلق عليه عنوان الشيئية.

القسم الثاني: الآيات التي يستند الخلقة إلى غير الله مثل الآية التي يستند الخلقة إلى عيسي النبي عليه السلام فقال ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ (المائده١١٠/٥)، فيظهر منها ان عيسي عليه السلام خلق الموجود كطائر بإذن الله فيستند الآية الخلقة إلى عيسى عليه السلام.

أو في آية ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون١٤/٢٣) فالله يسمي نفسه بأحسن الخالقين فيظهر من كلامه انه يؤيد ويقبل الخالقين غيره و لكنه يرى نفسه احسنهم.

ذكر المتكلمون للجمع بين القسمين من الآيات مفهومين من الخالقية احدها الخالقية الاستقلاليه التي تنحصر في الله و الخالقية التبعيه و الظليه التي يقدر عليها باقي الموجودات بإذن الله و ارادته، فعلى هذا ينظر القسم الاول من الآيات إلى الخلقة الاستقلالية ويقول لا يمكن لغيره هذه الخلقة و الآيات القسم الثاني ينظر إلى الخلقة الغير المستقلة و يظهر منها أن

الإنسان يمكنه الخلقة بإذن الله و ارادته. (سعيدي مهر،١٣٨٩هـ ش، ج١، ص٣٣٩).

الدليل الثاني و نقده:

إن الاشاعرة يعتقدون ان علم الله السابق على الافعال بسبب سلب الاختيار عن الفاعل ويجبره و يصير الفعل ضروريا. (رباني گلپايگاني، ١٣٧٩هـ.ش، صص٥٠ -٦١) فقال الفخر الرازي يستحكم هذا الدليل استحكاما لا يمكن لاحد الخدشه فيها و ان اجتمعوا على ردها عقلاء العالم.(شريف جرجاني، ١٣٢٥هـ ق، ج٨، ص ١٥٥).

نقد هذه العقيدة:

هناك اجابتين لهذا الدليل من الأشاعرة:

الاولى: اجابه الفلاسفة: ان علم الله السابق في راي ملا صدرا و ان كان هو المقتضي لصدور الفعل من العباد و لكن الله يريد ان يصدر الفعل ناشئا من مقدماته و مباديه، فاذا كان الاختيار والارادة من مقدمات الفعل فيريد الله اصدار الفعل من هذا المجرا و كذلك اذا كان الاضطرار و عدم الاختيار من مبادي الفعل فاراد الله ايضا صدوره من هذا المبدأ والطريق. (شيرازي (ملاصدرا)، ١٩٨١م، ج٦، ص ٣٨٥).

فعلى اساس اجابه ملا صدرا: الله يعلم الافعال مع تمام مباديها و مقدماتها، فالاختيار احد المبادي في الافعال الاختيارية وبعباره أخرى انّ الله يعلم ان الإنسان يفعل فعلا بارادته و اختياره.

الثانية: اجابه المتكلمين: قال العلامة الحلي في اجابه هذه الشبهة " العلم تابع للمعلوم وحاك عنه ولا عكس "(الحلّي، ١٤٠٧هـ ق، ص٢٣٠).

توضيحه: العلم كالمرآه ينعكس الحقائق ويحكي عنها ولا يمكنه التغيير والتبديل في الافعال فاذا علم الله بالافعال فلا يغيرها و لا يبدلها بسبب علمه بل الله ينعكس افعال الإنسان، مثلا اذا اطلع معلم شفيق شرائط متعلميه وأوضاعهم التحصيليه ويعرف ضعف بعضهم و تقصيرهم و بالتبع يعلم امكان رفضهم في الامتحان فاعلان المعلم برفض المتعلمين ناش من علمه بأوضاعهم فلا يمكن استناد الرفض إلى علم المعلم و اعلانه بل المتعلم هو المقصر في رفضه.

الدليل الثالث و نقده:

(ربّاني گلپايگاني، ١٣٧٩ هـ.ش، صص٦٢-٩٦):

يعتقد الجبريون متمسكا بآيات القرآن ان اراده الإنسان و مشيته لا يتعلق بشيء الا يتعلق به اراده الله قبله.

يستندون إلى ثلاث من آيات القران لاثبات مدعاهم و هي: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير٨١/٢٩)

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (يونس١٠/ ١٠٠)

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الحشر٥٩/ ٥)

نقد هذا الدليل:

إن توسعه اراده الله ولو كان مقبولا عند العقل و النقل لكن فهم الاشاعرة من الآيات لا يكون صحيحا واجابه هذه الشبهة كإجابه الشبهتين المتقدمتين.

بيان الاجابه: صحيح ان افعال الناس تحت اراده الله و الله يريدها ولكن يجب الدقه بان الله يريد الفعل بتمام خصوصياته و منها خصوصيه الاختياريه للفعل فهذا يشير إلى عدم الجبر.

فقال العلامة طباطبائي:" اراده الله يتعلق بفعل الإنسان بتمام خصوصياته و شئونه الوجودية و واحد من هذه الخصوصيات اتصال الفعل بالعلل و الشرائط، بعباره أخرى ان اراده الله يتعلق بفعل يصدر من زيد مثلا اختيارا لا اضطرارا فلذا اراده الله الفعل سبب لاختياريه الفعل لا اضطراريته. (الطباطبائي، ١٣٧٤ هـ.ش، ج١، ص ٩٩-١٠٠)

اذن كل ما يتحقق كما يكون ما يريد الله يكون ما يريد الإنسان و يختاره و لا تنافي بين اراده الله و اختيار الإنسان.

النتيجة:

يتحصل من مباحث المذكورة ان استدلال الجبريون لاثبات عقائدهم لا يتم ويمكن

الخدشة والنقد فيه.

فينتج بعد نقد ادلتهم ان الإنسان موجود مختار فيثبت التكليف و المسؤولية بالنسبة إلى افعاله و اعماله في مقابل النظرية الإباحية فيبطل الإباحية و الجبرية معا.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. ابن منظور، ابوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ ه ق، چ٣، ١٥ جلد.

٢. الأصفهانى، حسين بن محمد راغب، مفردات ألفاظ القرآن، لبنان: دار العلم، ١٤١٢ ه ق. چ١.

٣. البحراني،هاشم بن سليمان، البرهان في تفسير القرآن،تهران:بنياد بعثت ١٤١٦ه ق، چ اول، ٥جلد

٤. جعفري محمدتقي، علامه، جبر واختيار، تهران: مؤسسه تدوين ونشر آثار علامه جعفري، ١٣٧٩ه ش

٥. حسني رازي،سيد مرتضي(داعي الاسلام)، تبصرة العوام في معرفه مقالات الانام، با تصحيح عباس اقبال آشتياني، قم: اساطير، اول ١٣٦٤ه ش، يك جلد

٦. حسيني واسطي، سيدمحمد مرتضي، تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ ه ق. چ١، ٢٠ جلد.

٧. الحلّي، الحسن بن يوسف، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تحقيق حسن حسن زاده آملي، قم: مؤسسه النشر الاسلامي، اول،١٤٠٧ه ق، يك جلد

٨. الخميني، روح‌الله (امام)، طلب واراده، ترجمه سيد احمدفهري، تهران: شركت انتشارات علمي وفرهنگي١٣٩١ه ش.

٩. رباني گلپايگاني، علي، تحليل و نقدپلوراليسم ديني، مؤسسه فرهنگي دانش وانديشه معاصر، ١٣٧٩ ه.ش. چ ٢.

١٠.زيبايي نژاد، محمدرضا، مسيحيت شناسي مقايسه‌اي، تهران: انتشارات سروش، ١٣٨٢ ه.ش.

١١.سبحاني، جعفر، فرهنگ و عقايد اسلامي، قم: موسسه امام صادق ، ١٣٩٠ ه.ش. چ١

١٢.سبحاني،جعفر،((جبر واختيار درقلمرو وحي وخرد))، فصلنامه نور علم (وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه قم) ش ٢٥، اسفندماه ١٣٦٦(١٨صفحه از ٨٤-١٠١)

١٣.السبزواري، محمدبن حبيب الله، الجديد في تفسير القرآن، بيروت: دارالتعارف للمطبوعات، ١٤٠٦ه.ق.

١٤.سعيدي مهر، محمد، آموزش كلام اسلامي،قم: طه، ١٣٨٩،دو جلد، چ هفتم

١٥.شريف جرجاني، على بن محمد، شرح المواقف، قاهره: مطعبه السعاده، ١٣٢٥هـ ق، ج٨.، ١٢ جلد

١٦.الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم،الملل والنحل، بيروت: دار المعرفه، ١٣٥٩ هـ.ق. چ ٢، ٢ جلد.

١٧.الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم، نهايه الاقدام في علم الكلام، بيروت: دارالكتب العلميه ١٤٢٥هـ ش. يك جلد

١٨.شيرازي، صدرالدين محمد(ملاصدرا)، الحكمه المتعاليه، بيروت . لبنان: دار احياء التراث العربي، ١٩٨١م. چ سوم ٩ جلد.

١٩.الطباطبائي، محمدحسين، تفسير الميزان، ترجمه سيد محمد باقر موسوي همداني، قم: دفتر انتشارات اسلامى جامعه‌ى مدرسين حوزه علميه قم، ١٣٧٤ هـ.ش. چ ٥.

٢٠.الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تهران: ناصر خسرو، ١٣٧٢ هـ.ش. چ ٣. ١٠ جلد.

٢١.الطريحي، فخرالدين، مجمع البحرين، تهران: مرتضوي، ١٣٦٢ هـ.ش. چ ٢، ٥ جلد

٢٢.عبدالله بن احمدبن حنبل، كتاب السنه،تحقيق محمدبن سعيد القحطاني،دارعالم الكتب١٤١٦هـ ق. چاپ ٤. ٢جلد

٢٣.عروسي حويزي، عبد على بن جمعه، تفسير نور الثقلين، تحقيق سيد هاشم رسولي محلاتي، قم: اسماعيليان، ١٤١٥ هـ.ق. چ ٤، ٥ جلد.

٢٤.الفراهيدى، الخليل بن احمد، العين، قم: نشر هجرت، ١٤١٠ هـ.ق. چ ٣. ٨ جلد.

٢٥.فَيومى، احمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للّرافعي، قم: دار الهجره، ١٤١٤ هـ.ق. چ ١، ٢جلد.

٢٦.مطهري، مرتضي، إنسان وسرنوشت، قم: انتشارات صدرا، چ١٢، ١٣٧٢هـ.ش.

٢٧.مطهري، مرتضي، مجموعه آثار، قم: انتشارات صدرا، ١٣٩٠ هـ.ش. ٢٨ جلد.

٢٨.المفيد، محمد بن النعمان، تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، قم: منشورات الرضي، ١٣٦٣هـ.ق.چاپ اول

٢٩.مكارم شيرازى، ناصر، تفسير نمونه، تهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٤ هـ.ش. چاپ ٣٢، ٢٧ جلد.

٣٠.مك گراث، آليستر، درسنامه الهيات مسيحي،ترجمه گروهي از نويسندگان، قم: انتشارات دانشگاه اديان ومذاهب ١٣٩٢ هـ. ش. چاپ پنجم

٣١.وحيدي مهرجردي، شهاب الدين، در آمدي به آيين پروتستان، قم: نشراديان، ١٣٨٩ هـ.ش. چ ١.